المبحث الثاني
نظم الإدارة العسكرية عند السلاجقة

تمثلت هذه النظم بالمناصب العسكرية المتعددة عند السلاجقة التي أسهمت في تحديد المهام المناطة بكل منصب من ناحية وإيجاد التدرج في الرتب العسكرية بشكل هرمي يضمن النجاح في تنفيذ هذه المهام من ناحية أخرى[1] وإليك تفصيل نظم الإدارة العسكرية السلجوقية.

أولاً المناصب القيادية:

يجسد الوزير السلجوقي نظام الملك النظر إلى كبار قادة الجيش على أنهم زينة الملك[2]، وأن الحفاظ على ألقاب الأشخاص ومراتبهم وأقدارهم جزء من شرف المملكة [3]، كما كان ينصح بضرورة عدم اللجوء إلى إسناد عملين لشخص واحد أو عملاً واحداً إلى شخصين قط [4]، فقد أراد تثبيت تقسيمات الوظائف التي ميزت عصر السلاجقة، وحذَّر من تداخل الألقاب بين المدنيين والعسكريين وأنها لا بد أن تتناسب مع القائمين على هذه المناصب [5]، كما يرى الوزير السلجوقي نظام الملك وجوب وضع العيون على أصحاب المناصب القيادية فهو يقول: أما أصحاب المناصب الهامة الرفيعة، فيجب أن يعين عليهم من يراقبهم سراً دون أن يعلموا ليكونوا على اطلاع دائم بأعمالهم وأحوالهم[6]. وأما أهم المناصب العسكرية القيادية عند السلاجقة حسب تدرّجها فهي:

1- الأمير الحاجب الكبير: وهو من المناصب الرئيسية لدى سلاطين السلاجقة، فكان الأمير الحاجب الكبير هو الذي يسمع مشافهة السلطان ويؤديها إلى الوزير فهو الناهي الآمر [7]، فكانت مهامه في البداية تنحصر في تنظيم الدركاه (باب السلطان) حيث يشرف على سير الأمور في بلاط السلطان، فكان بذلك حلقة الوصل بينه وبين رجالات الدولة والرعية [8]، ثم أضيفت إليه مهمة قيادة الجيوش التي يوجهها السلطان للقضاء على أعدائه[9]. وقد بين المؤرخون أن التدرج في الخدمة العسكرية يصل في النهاية إلى الحجابة وهي قمة الهرم العسكري عند السلاجقة وأسمى الألقاب التي كانت تعطي للقادة عند السلطان [10] ويعتبر الحاجب هو عارض السلطان الذي يتولى أمور الجيش وقيادته وهو أعلى المناصب القيادية السلجوقية بعد السلطان والوزير، فكان في المرتبة الثالثة في

(1) النظم الحربية عند السلاجقة ص 103.
(2) سياست نامة ص 214.
(3) المصدر نفسه ص 191
(4) المصدر نفسه ص 201.
(5) النظم الحربية عند السلاجقة ص 103.
(6) سياست نامه ص 66.
(7) تاريخ دولة آل سلجوق ص 111.
(8) رسوم السلاجقة ص 93 النظم الحربية ص 105.
(9) انظم الحربية ص 105
(10) النظم الحربية عند السلاجقة ص 108.

مناصب الدولة[1].

أ- صفات قائد الجيش: يفضل نظام الملك أن: توكل قيادات الجيش إلى الكهول المجربين لا الشبان الناشئين [2]، تأكيداً منه على أهم الشروط الواجبة في القائد وهو وجود الخبرة والتجربة فلا يتولى المناصب العليا من: لم يبلغ الخامسة والثلاثين أو الأربعين من عمره[3]. حتى يتحقق له النجاح في منصبه بقوة واقتدار، ويسانده في ذلك الغزالي - وهو من علماء السلاجقة : بقوله: فإن الرجل يصير رجلاً في أربعين سنة [4]. ويذكر صاحب كتاب آثار الأول أن من صفات القائد أن يكون قدره كبيراً وأمره نافذاً، خبيراً بالحُلا [5]، والعروض ومعرفة الرجال ورتبهم وأقدارهم وموقعه من الدولة، ويتقى أمر الحلية فلا يشتبه عليه شخص بشخص وشياه الدواب والسلاح، ولتكن له هيبة وحرمة كبيرة حتى لا يجسر أحد على التدليس ولا غيره، ويحترز عند العروض فهو الأصل في انتظام أمر الجيش[6]، ويذكر ابن الأزرق أربع صفات للقائد هي: الشجاعة والحزم، وحسن التدبير، والسخاء [7]، ويقول: إن من صفات نجاح قائد الجيش في منصبه معرفته بمواطن طاعة جنده[8] ومن الصفات اللازمة لقائد الجيش أن يكون: كامل العقل، ثابت القلب، تام الشجاعة، وافر اليقظة، كثير الحذر، شديد الحزم، بصيراً بأحكام الحروب، ومواضع الفرص منها، عارفاً بالحيل، والمكايد، والخداع، فيها عالماً بتدبير العساكر وترتيب الجيوش، خبيراً بالطرق.. عارفاً بالخيل.. وأصناف السلاح [9].

ب- واجبات قائد الجيش: وهي الاهتمام بحماية الجيش من مفاجأة العدو له، اختيار الموقع المناسب للجيش، إعداد ما يحتاج إليه الجيش من مؤن، ومعرفة أخبار عدوه لئلا يتعرض لمكروه، وترتيب الجيش في أرض المعركة، تقوية عزيمة الجند وبث روح الانتصار فيهم، أن يعدهم بثواب الله في الآخرة والغنيمة في الدنيا، مشاورة ذوي الرأي فيما يشكل عليه لئلا يخطئ[10].

ج- رواتب الجند: كان كبار القادة يمنحون إقطاعات بدلاً من الرواتب - كما سبق أن أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن الإقطاع - بصفة عامة - فقد كان الأمراء الأربعون الذين قدّمهم الوزير نظام الملك تحت أيديهم أربعين ولاية على سبيل الإقطاع، وأحياناً يقطع الأمير بضع ولايات، فقد منح السلطان بركيارق الأمير أنر ولاية فارس أولاً ثم ولاية العراق وكان إيرادهما السنوي يتجاوز

(1) العرب والأتراك ص 96.
(2) سياست نامة ص 223.
(3) سياست نامة ص 145.
(4) التبر المسبوك ص 279، النظم الحربية ص 109.
(5) الحُلا: ما يُحلي به من أدوات الزينة.
(6) النظم الحربية ص 109.
(7) بدائع السلك (203/1، 204).
(8) النظم الحربية ص 109.
(9) النظم الحربية ص 110 نقلاً عن تفريج الكروب في تدبير الحروب.
(10) الأحكام السلطانية ص 43.

المليون دينار، وفي عهد السلطان محمد بن ملكشاه أقطع الأمير أحمديل ولاية أذربيجان ذات الإيراد السنوي الذي يبلغ أربعمائة ألف دينار [1]، وهكذا كان الأمراء والولاة يقطعون هذه الإقطاعات بمثابة الراتب لهم، بينما كان الغلمان من ذوي الرواتب يحصلون على رواتبهم من الخزينة أربع مرات في السنة [2].

2- الأسفهسلار [3]وهو قائد القواد أو القائد العام: وُجد هذا اللقب قبل السلاجقة، فيذكر البيهقي وجوده عند الغزنويين في عهد السلطان مسعود [4]، وكان الاسفهسلار: زمام كل زمام وإليه أمور الأجناد [5]، ويؤكد الغزالي وجود منصب الاسفسهلار عند السلاجقة [6]، وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن من يصل إلى مرتبة أمير الأمراء أو ملك الأمراء يكون بذلك القائد العام للجيوش السلجوقية يطلق عليه اسفهسلار، أو بيلربي [7]، ويمكن قبول تولي الاسفهسلار قيادة الجيش في حالة غياب الحاجب الذي يتولى إمرة الجيش وعرضه أما في حالة وجوده في المعركة فهو القائد الأعلى للجيش ويصبح الاسفهسلار حلقة الاتصال بينه وبين قادة الفرق المقدمين [8].

3- أمير الحرس: كانت إمارة الحرس من المناصب المهمة في كل العصور، فكانت لها أهميتها في العصر السلجوقي؛ إذ لم يكن في البلاط أعظم وأكثر أبهة بعد الأمير الحاجب العظيم من أمير الحرس[9] ويبرر الوزير السلجوقي نظام الملك أهمية هذا المنصب بقوله: لأن عمله مختص بالعقوبات، والجميع يخشون غضب الملك وعقابه [10]، فإذا غضب السلطان على شخص ما فإنه يأمر أمير الحرس بضرب العنق، أو قطع اليد والرجل، أو الشنق أو الجلد أو الزج به في السجن، أو الإلقاء في أحد الآبار حتى كان الناس لا يترددون في افتداء أنفسهم وأرواحهم بالمال [11]، مما يؤكد أن من المهام التنفيذية لأمير الحرس إيقاع كثيرة من العقوبات بالإضافة إلى متابعة المشرفين على الحرس واحتياجاتهم اللازمة حتى لا يتعرضوا للإغراءات من قبل من يحاول ذلك، فيتهادنوا في أداء واجباتهم المناطة بهم، ولم يقتصر هذا المنصب على البلاط السلطاني، بل كان لكل أمير من أمراء السلاجقة حرس يخصه يرأسهم شخص يطلق عليه أمير الحرس [12].

4- المقدم: يطلق على القادة الذين تولوا قيادة الفرق في الجيش السلجوقي، وهو ما ذهب إليه

(1) النظم الحربية عند السلاجقة ص 113.
(2) سياست نامة ص 139.
(3) الأسفهسلار معناه مقدم العسكر مركب من لفظين فارسي وتركي فاسفه بالفارسية بمعنى المقدم وسلار بالتركية بمعنى العسكر.
(4) تاريخ البيهقي ص 363 النظم الحربية ص 115.
(5) الخطط (403/1) النظم الحربية ص 115.
(6) التبر المسبوك ص 182.
(7) أمير الأمراء القائد الأعلى للجيش.
(8) النظم الحربية ص 117.
(9) سياست تامة ص 177.
(10) المصدر نفسه ص 177 النظم الحربية ص 118.
(11) رسوم السلاجقة ص 112، النظم الحربية ص 118.
(12) دولـة السلاجقة، حسنين ص 148.

بعض المؤرخين حول هذا المنصب [1]، وإذا كان المقدم أميراً للحرس أطلق عليه لقب جندر، وإن كان قائداً لقلعة حمل لقب دزدار [2]، كما أطلق على قائد الأقاليم الثغرية المتاخمة للأعداء لفظ سالار[3]، وأطلق عليه لقب غازي، وكانت الدولة تعفي الثغور من الضرائب والخراج، بل تقدم لهم المساعدات المالية والرواتب [4] حتى يكونوا على مستوى من القوى الولاء تساعدهم على الصمود.

5- العميد: استحدث السلاجقة وظيفة العميد [5]، الذي يعاون الشحنة في إدارة الولاية وتوجيه القوات العسكرية في حال الاضطرابات، وكانت سلطات العميد أوسع من سلطات الشحنة، فهو يشرف على العراق بأكمله بينما يشرف الشحنة على بغداد فقط [6]، ويذكر نظام الملك أن من المناصب عميد بغداد وعميد خراسان وعميد خوارزم في حصره للمناصب المهمة التي تضاف ألقابها إلى الملك: لتتضح درجة العظيم ومرتبته عما دونه [7]، وهو ما يثبت لنا وجود هذا المنصب وأهمية صاحبه في الدولة السلجوقية [8]. وأما عن مهام ومسؤوليات هذا المنصب فهي ضمان بغداد بمبلغ معين والنظر في أعمالها وعمارتها [9]والمحافظة على الأمن والقضاء على الفتن في مركز الخلافة [10] والنظر في المظالم، وإبادة المسلمين والاهتمام بأمر الحج وتعيين الخضراء للحجيج وترتيب إقامة السلطان في بغداد [11]، وقد تقلّص نفوذ العميد ومهامه بمرور الزمن، فأنيطت أكثر مهامه بالشحنة [12].

6- الشحنة [13]: وهو منصب جديد استحدثه السلاجقة، فقد اعتادوا منُذ بداية دولتهم على تعيين الشحنة على القبائل التركمانية، وإعطائه صلاحيات خاصة، وكان عمل صاحب هذا المنصب يتلخص في حسم القضايا الخفيفة في البلد الذي يتولاه [14]، وهو مشابه لعمل العميد فيما عدا ضمان العميد لبغداد بمبلغ من المال، ومن ثم لم يكن لعمله حدود واضحة ولكنه بعد أن تقلد نظام الملك الوزارة أصبح الشحنة بمثابة الوالي أو النائب عن السلطان، فهو المسؤول عن إدارة المصالح السلجوقية وإقرار الأمن والنظام [15]، فهو قائد الحامية العسكرية في المدينة وله صلاحيات أمنية

(1) آثار الأول نقلاً عن النظم الحربية ص 119.
(2) العرب والأتراك ص 97.
(3) الكامل في التاريخ نقلاً عن النظم الحربية ص 120.
(4) قيام الدولة العثمانية ص 129 محمد كوبريلي.
(5) نظام الإقطاع عن السلاجقة ص 75 النظم الحربية ص 121.
(6) السلاجقة في التاريخ والحضارة ص 159.
(7) سياست نامة ص 200، النظم الحربية عند السلاجقة ص 122.
(8) النظم الحربية عند السلاجقة ص 122.
(9) الكامل في التاريخ نقلاً عن النظم الحربية عند السلاجقة ص 122.
(10) تاريخ ابن أبي الهيجاء ص 107.
(11) النظم الحربية ص 122.
(12) المصدر نفسه ص 122.
(13) يشبه منصب المحافظ والمتصرف حالياً.
(14) تاريخ ابن خلدون نقلاً عن النظم الحربية ص 123.
(15) العرب والأتراك ص 97.

وإدارية واسعة[1]، وهي أشبه ما تكون بوظيفة الحاكم العسكري في عصرنا الحاضر [2]. وأما عن شروط من يعتلى هذا المنصب فتقوم على أساس قدرته على ضبط الأمور وإدارتها بدقة، بالإضافة إلى أمن السلطان في بغداد [3]؛ ولذلك أعطى هذا المنصب مثل آق سنقر [4]، وعماد الدين زنكي[5].

7- الأتابك [6]: من الوظائف السلجوقية المهمة منصب الأتابك ويذكر ابن الأثير والسيوطي أن معنى أتابك هو الأمير الوالد [7]بينما يذكر ابن خلكان أنه الذي يربي أولاد الملوك فالأتا بالتركية هو الأب وبك هو الأمير [8]، وعبَّر القلقشندي عن هذا اللفظ بقوله: ويعبر عن صاحبها بأتابك العساكر... وأصله أطابك ومعناه الوالد الأمير، وأول من لقب بذلك نظام الملك وزير ملكشاه بن ألب أرسلان حين فَّوض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة خمس وستين وأربعمائة، ولقبه بألقاب منها هذا، وقيل أطابك أمير أب والمراد أبو الأمراء وهو أكبر الأمراء المقدمين [9].

ثم حمل لقب الأتابك العسكريون الموكول إليهم تربية الأمراء الفتيان من مختلف فروع العائلة السلجوقية، ومنُذ عهد السلطان بركيارق أصبح الأتابك عسكرياً من القادة ذوي الشهرة، حيث يلعب دور الأب تماماً، فيتزوج أم الفتى عندما تصبح أرملة وبلغ الأمر بالأتابك من الناحية العملية إلى حد توريث وظيفته حتى على مستوى امتلاك الحكم [10]، ولا شك أن في هذا الرأي استقراء لتطور هذا اللقب عند السلاجقة وتحوله من أصحاب المناصب المدنية في البداية إلى القادة العسكريين بعد ذلك [11].

8- قاضي العسكر: كان القضاة هم الذين يرعون الشؤون الشرعية في البلاد في عهد السلاجقة، وكانوا على قسمين: أحدهما للعساكر والآخر لعامة الناس، فكان قاضي الجيش ينظر في القضايا الخاصة التي توجد داخل الجيش [12]، ويذكر الوزير نظام الملك (أن من شروط القاضي أن يكون عالماً أميناً زاهداً ويرى وجوب عزل كل من لا يتصف بهذه الصفات، وأن يعطى القاضي راتباً شهرياً يكفيه حتى لا تضطره الحاجة إلى الخيانة لما فيها من خطر كبير؛ لأن دماء المسلمين وأموالهم بيد القضاة ومعاقبتهم على أخطائهم إضافة إلى عزلهم وأن من واجب السلطان مساعدة القاضي في أداء مهام منصبه بإجبار من يرفض الحضور إلى مجلس القضاء كي يسود العدل

(1) النظم الحربية ص 123.
(2) نور الدين محمد، عماد الدين ص 74.
(3) الكامل في التاريخ نقلاً عن النظم الحربية ص 124.
(4) تاريخ حلب ص 354.
(5) النظم الحربية ص 124.
(6) يطلق على من يعهد إليه بتربية الأمراء ومراقبتهم وتصريف أمورهم وحمايتهم.
(7) تاريخ الخلفاء ص 422، النظم الحربية عند السلاجقة ص 125.
(8) وفيات الأعيان (365/1).
(9) صبح الأعشى (18/4) النظم الحربية ص 126.
(10) الشرق الإسلامي ص 367، النظم الحربية ص 126.
(11) النظم الحربية ص 126.
(12) النظم الحربية ص 128.

وينصف المظلوم [1]؛ لأن القضاة نواب السلطان فيجب عليه أن يشد أزرهم ويحفظ لهم مكانتهم، كما يجب تحّري أحوال القاضي صغيرها وكبيرها وإرسال الثقاة للقيام بذلك [2]، ويرى المرادي أن من واجب القاضي أن يتصف بالوقار والفطنة والاحتراس والعبادة وفصاحة اللسان [3]، وكانت المنازعات التي تنشب بين منسوبي الجيش السلجوقي يفصل فيها قاضي العسكر [4]، الذي التزم أيضاً الفصل في القضايا التي تخص الجند كقضايا الميراث والغنائم والبيع والشراء وغيرها، وبيان أحكام الشرع لهم [5].

9- الدزدار: تشير المصادر السلجوقية إلى منصب آخر هو الدزدار فيذكره ابن بيبي وهو يطلق على القائد الذي يقوم بحراسة القلعة [6]، كما يفسر البعض معناها بحاكم الحصن [7]، وصاحب هذا المنصب مستقل في منصبه عن حاكم الإقليم كما يذكر القلقشندي وعادة ما تكون رتبته القيادية أمير طبلخاناه يتزعم أربعين وقد يصل إلى سبعين وتحت إمرته حراس يتناوبون العمل على حراسة القلعة في الليل والنهار، كما هو الحال في قلعتي دمشق وحلب على سبيل المثال[8].

10- سلاح دار: وتعني هنا أمير السلاح، فقد جاء مصطلح سلاح دار في كتاب سياست نامة[9]، وفي تاريخ البيهقي، أنه يطلق على الشخص الذي يقوم بمهمة حراسة دار السلاح أو الذي يحمل سلاح الحاكم أثناء المراسم والاحتفالات، وتحق إمرته أشخاص أُطلق على الواحد منهم سلاح دار [10]، ويفرق ابن كنان بين أمير السلاح الذي يجلس إلى جانب السلطان على المسيرة وهو من أكابر الأمراء وهو المختص بالسلاح خاناة [11]، وبين سلاح دار الذي يحمل آلة من آلات الحرب التي تختص بالسلطان حين القتال [12]، والذي هو واحد ممن يتزعمهم أمير السلاح [13].

ثانياً: ديوان عرض الجيش:

كان هذا الديوان يرعى مهمات الجيش واحتياجاته وأسماء الجند في السجلات الموجودة في هذا الديوان، فهو يقابل وزارة الحرب في عصرنا ويسمى رئيس هذا الديوان العارض [14]، حيث يُخبر

(1) المصدر نفسه ص 128.
(2) سياست نامة ص 83، النظم الحربية عند السلاجقة ص 128.
(3) تاريخ البيهقي ص 603، 604.
(4) النظم الحربية عند السلاجقة ص 129.
(5)النظم الحربية عند السلاجقة ص 129.
(6) العرب والأتراك ص 130، النظم الحربية ص 130.
(7) النظم الحربية عند السلاجقة ص 130.
(8) صبح الأعشى (224/4، 225).
(9) سلاح دار: داراي ممسك تعني الذي يحمل سلاح السلطان.
(10) تاريخ السلاجقة ص 293، النظم الحربية ص 131.
(11) النظم الحربية عند السلاجقة ص 131.
(12) المصدر نفسه ص 131.
(13) المصدر نفسه ص 131.
(14) دولة السلاجقة ص 147، نظم دولة سلاطين المماليك (139/1).

السلطان بـأحوال هـذا الـديوان إمـا بنفسـه مباشـرة أو بمـن يرسـله إليـه [1]، ويسـمى أحيانـاً ديـوان الإقطاع[2] ومن مهام هذا الديوان:

1- تنظيم سجلات أسماء الجند: ترصد في الجريدة السوداء [3]سنوياً أسماء الرجال وأنسابهم ومبالغ أرزاقهم وسائر أحوالهم وهي الأصل الذي يرجع إليه في ديوان الجيش في كل شيء ويتم هذا الرصد تحت قياداتهم قائداً قائداً [4]، ويقرّ الرواندي بوجود الجرائد الديوانية لدى السلاجقة في عهد السلطان ملكشاه وأنه كانت تكتب فيها أسماء الجند ويُرصد فيها توزيع الإقطاعات عليهم [5] ويعتبر تسجيل أسماء الجند في السجلات الخاصة بديوان الجيش هو أحد مظاهر التنظيم الإداري العسكري الدقيق في عهد السلاجقة العظام [6].

2- عرض الجيش: كان العارض - رئيس هذا الديوان - يشرف بنفسه على عرض الجيش، فيجب عليه الحذر عند العرض: فهو الأصل في انتظام أمر الجيش[7]، وقد اعتاد سلاطين السلاجقة - بحكم تربيتهم وميولهم العسكرية على الاهتمام بجندهم اهتماماً بالغاً وكان من مظاهر هذا الاهتمام متابعة إعداد الجيش واستعراضه، وتفقد أحوال الجند ومدى استعدادهم للمعركة في مكان متسع قبل خوض المعارك [8]، ويقدم لنا ابن العبري وصفاً جيداً للعرض العسكري الذي يتم بشكل يومي في عهد السلطان طغرل بك فقد: اعتاد الجنود أن يتوافدوا كل يوم فوجاً ليؤدوا الطاعة لطغرل بك يتألف كل فوج من ألفي شخص، وكانوا ينحدرون عن خيلهم من بعيد ويقبّلون الأرض ويقفون، ثم يشير الحاجب إليهم بأن تحيتّهم قد قبلت فكانوا يقبّلون الأرض ثانية ويركبون ويتصرفون فيأتي فوج ثان، ولم يكن يدنوا منه أحد أو يحدثه [9]، كما كان السلطان سنجر يزود قواده بضرورة استعراض جندهم أمامه، وكان من النصائح العسكرية المقدمة للسلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه في عرض الجيش قولـه: واختبرهم عند العرض ولا تثبت منهم إلا الوفيّ الكميّ، الذي لا يعدل عن الوفاء ولا ينكل عن الهيجاء فإن المراد بهم قوة العدَّة لا كثرة العدد [10].

3- تحديد المهام الموكلة إلى الجند: اهتم السلاجقة منُذ بداية أمرهم بتحديد المهام الموكلة لفرسانهم وقوادهم وجندهم، فقد كلف السلطان طغرل بك الحاجب آيتكين بالمحافظة على الطرق المؤدية إلى بغداد وحراستها [11]، ويذكر نظام الملك أهمية تحديد المهمة بدقة متناهية، وأن يصدر

(1) صبح الأعشى (18/4).
(2) الحرب عند العرب ص 327.
(3) الجريدة السوداء: وهي من دفاتر ديوان الجيش تكتب فيها الأسماء.
(4) تاريخ البيهقي ص 134.
(5) راحة الصدور ص 204، 205 النظم الحربية ص 134.
(6) النظم الحربية ص 135.
(7) النظم الحربية ص 135
(8) المصدر نفسه ص 135.
(9) تاريخ الزمان ص 93 النظم الحربية ص 136.
(10) راحة الصدور ص 344.
(11) المصدر نفسه ص 173.

بها أمر من البلاط السلطاني فيقول: ينبغي أن لا يرسل أي غلام مالم تكن ثمة مهمة وأن لا تكون إرساله دون أمر.. لتجري الأمور على نصابها[1]، ويقول في تعظيم الأوامر السامية والمراسيم الصادرة عن البلاط السلطاني: فإذا لم يكن ثمة أمر هام ينبغي ألا يصدر عن الديوان العالي أمر خطي البتة [2].

4- الإشراف على النواحي التموينية: كان إشراف الديوان على هذه النواحي دقيقاً في البداية عند السلاجقة، فقد اهتم بعض قادة الجيش السلجوقي بشراء المؤن لجيشهم في عهد السلطان ألب أرسلان ووضع نظام الملك حلولاً صائبة للقضاء على ما قد يعترض الجيش السلجوقي من صعوبات في مجال التموين وتجنب إرهاق الرعية ووقوع الظلم عليهم ووزع مؤن الجيش على مختلف أقاليم الدولة وخاصة المناطق الواقعة على الطرق الرئيسية وقد أسهمت حلول نظام الملك بشكل فاعل في حل مشكلة التموين للجيش، فاستطاع الديوان بهذه الطريقة أن يوفر المؤن اللازمة للجيش بكل يسر وسهولة [3].

5- الإشراف على النواحي المالية: أشار الغزالي إلى وجوب المحافظة على أرزاق الجند [4] ودفعها لهم كل إنسان منهم على قدر [5]، فكان ديوان الجيش يتولى متابعة هذه الأرزاق، ويذكر ابن الأزرق أن من أسس الحكم تعجيل أرزاق الجند لهم في مواعيدها وعدم تأخيرها عليهم [6]، لم في ذلك من الأضرار البالغة على الجند أولاً وعلى الدولة ثانياً [7]، ويعبَّر المرادي عن ذلك بقوله: إن الجيش أعوان يكفلهم المال [8]، في إشارة منه لأهمية الأموال للجيش وصرف مستحقات الجند في أوقاتها [9]، وكان السلطان ملكشاه قد جعل مخصصات الجند ورواتبهم مقسمة على مختلف الأقاليم وأمر لهم بمخصصات في كل مكان ينزلون منه على الرعايا من أضرار الجيش السلجوقي واحتياجاته [10]، وكان السلطان ملكشاه قد جعل مخصصات الجند ورواتبهم مقسمة على مختلف الأقاليم وأمر لهم بمخصصات في كل مكان ينزلون منه على الرعايا من أضرار الجيش السلجوقي واحتياجاته [11] وأما فيما بعد فقد أدت العوامل التي سبق ذكرها في الإقطاع إلى الاستعاضة عن المرتبات النقدية للمحاربين بالإقطاعات من الأرض من قبل وزير ملكشاه نظام الملك - حتى صار الإقطاع الحربي هو القاعدة، فكان ديوان عرض الجيش هو المشرف على تنظيم الرواتب

(1) سياست نامه ص 110، النظم الحربية ص 138.
(2) النظم الحربية ص 138.
(3) النظم الحربية ص 139.
(4) التبر المسبوك ص 279.
(5) المصدر نفسه ص 279.
(6) النظم الحربية ص 141.
(7) المصدر نفسه ص 141.
(8) المصدر نفسه ص 141.
(9) المصدر نفسه ص 141.
(10) راحة الصدور ص 204، 205 النظم الحربية ص 142.
(11) راحة الصدور ص 204، 205النظم الحربية ص 142.

والإقطاعات على حد سواء [1].

6- الإشراف على التسليح: ذكر ابن الجوزي أن الجيش السلجوقي في عهد السلطان طغرل بك كان يحوي - ضمن محتوياته المتعددة النجارين القادرين على تلبية احتياجات تسليحه صناعة وصيانة كما أنه عند مسيره من بغداد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة كان قد انتهى من صناعة الأسلحة الثقيلة اللازمة للجيش كالعرادات والمنجنيقات [2]، ويذكر ابن الأثير أن جيش طغرل بك كان يحتوي على خزائن السلاح والمنجنيقات [3]، ومن الطبيعي أن تحوي هذه الخزائن على مختلف أنواع الأسلحة اللازمة للجند على سبيل الاحتياط إضافة إلى وجود الصناع القادرين على صنع الأسلحة وصيانتها عند الحاجة، كما أكد ابن الأثير أن عملية تأمين احتياجات الجيش من الأسلحة والعتاد تتم حتى في أثناء المعركة [4]، فكان ديوان الجيش يقوم بالإشراف على هذه النواحي [5].

7- الإشراف على زي الجند: حافظ السلاجقة على ملابسهم الخاصة التي عرفوها في آسيا الوسطى فكانت هذه الملابس الخاصة بالأتراك سبباً في تعرُّف السلاجقة الأتراك - أثناء موقعة ملاذكرد - على أبناء عمومتهم من الأوزو البجناق الذين كانوا يحاربون في صفوف الجيش البيزنطي الذين انضموا لجيش السلاجقة بعد ذلك، فكانت الهزيمة على البيزنطين [6]، وقد يكون ذلك أيضاً من خلال معرفة بعض أنواع أسلحتهم التي يتمنطقون بها وهيأتهم التي يقفون عليها، فكان من مهام الديوان الإشراف على زي الجند.

8- ثكنات الجند: كانت إقامة الجند تتم في العنابر الملحقة بقصر السلطان السلجوقي، فكانوا بذلك قريبين من السلطان لتنفيذ أوامره، ويطلق على هذه العنابر أتاق [7]، وحرِّفت الكلمة إلى وثاق[8]، وهذا الأمر خاص بالغلمان الذين جعلوا لخدمة السلطان خاصة بالإضافة إلى الحرس السلطاني أما بقية الجيش لهم ثكنات خاصة بهم في أماكن أخرى.

ثالثاً: أقسام الجيش السلجوقي:

كان الجيش السلجوقي سبباً من الأسباب الرئيسية في نجاح السلاجقة وتفوقهم على القوة المعاصرة لهم وقد كان للجيش السلجوقي أقسام متعددة هي:

1- القوة النظامية: والمقصود بها الجيش النظامي الثابت في خدمته للدولة بشكل دائم، وتتألف القوة النظامية من الغلمان العبيد، أو ممن نالوا حريتهم منهم للقيام بالواجبات اليومية وطريقة

(1) النظم الحربية ص 142.
(2) النظم الحربية ص 143 المنتظم (173/8).
(3) الكامل في التاريخ نقلاً عن النظم الحربية ص 143.
(4) الكامل في التاريخ نقلاً عن النظم الحربية ص 143.
(5) النظم الحربية عند السلاجقة ص 143.
(6) المصدر نفسه ص 144.
(7) المصدر نفسه ص 144.
(8) تاريخ البيهقي ص 805، النظم الحربية ص 145.

الحصول على هؤلاء الغلمان الشراء، الهدايا للسلاجقة من حكام آخرين، بالإضافة إلى أسرى الحروب والرسوم المقررة على الدول الخاضعة لهم [1]، كما استفادوا بشكل كبير من العناصر التي دخلت في خدمة الدولة بعد قيامها [2].

2- القبائل التركمانية: كانت هذه القبائل تعيش حياة بدوية تحت قيادة زعماء العشائر سواء وجدت هذه القبائل في خدمة الدولة أم لا، كما حافظوا على أساليبهم التقليدية في القتال والمعتمدة على رماة السهام من الفرسان [3]، وحتى النساء والأطفال كانوا يعيشون حياة عسكرية تحت زعامة رئيس القبيلة الذي يلقب بباش بوغا وكانت القبائل التركمانية التي تعيش في الثغور أكثر أهمية وكان يطلق على صاحبها لقب سالار - وهو منصب أعلا من وظيفة الشحنة الذي كان يُعَّين على القبائل التركمانية الأخرى، ولكن بصلاحيات خاصة، وكانت الدولة تُعفي الثغور من الضرائب والخراج بل وتقدم لهم المساعدات المالية، وتمنح الغزاة والسالارات فيها رواتب ثابتة [4] كما اضطر سلاطين السلاجقة إلى إعطاء أفراد القبائل التركمانية - أحياناً - رواتب ثابتة اتقاء لخطرهم الذي يظهر مباشرة حين توقف الدولة هذه المرتبات [5]، وعلى أية حال فقد لعبت القبائل التركمانية الدور الأساسي في مرحلة تأسيس الدولة السلجوقية [6]. ويرى الوزير السلجوقي نظام الملك أنه: على الرغم من النفرة والملالة من التركمان وكثرة عددهم فإن لهم حقًّا ثابتاً على الدولة؛ إذ أسهموا في خدمتها أبان قيامها، وتحملوا في سبيلها المتاعب والمشاق فضلاً عن أنهم من ذوي القربى [7].

3- فرق الولايات: تشكل قوات حكام الولايات جزءًا كبيراً من القوات التي تلتحق بجيش الدولة في حالة إعلان الحرب وفقاً لما تعهد به هؤلاء الحكام خلال إسناد مهمة الولاية لهم حيث تكونت من عناصر متعددة حسب حالتها [8]، فكان لدى الحاكم قوة دائمة يحتفظ بها إلى إضافة إلى من يستدعيه وقت الحرب [9]، ويضاف إلى هؤلاء الفرق التابعة لأصحاب الإقطاع [10]. والتي يختلف عددها تبعاً لعدد الأفراد الموجودين تحت إمرة صاحب الإقطاع وإن كانوا أقل عدداً من تلك القوات التي يجلبها حكام الولايات[11].

4- قوات الأمراء: والمقصود بها تلك القوات التي تساعد الجيش السلجوقي في حروبه في حالة إعلان الحرب، ويدخل في ذلك نوعان من الأمراء:

(1) النظم الحربية عند السلاجقة ص 150.
(2) المصدر نفسه ص 150.
(3) إمارة حلب، محمد صامن ص 130 النظم الحربية ص 154.
(4) النظم الحربية ص 154.
(5) دولة السلاجقة ص 20، النظم الحربية ص 154.
(6) سياست نامة ص 143.
(7) سياست نافه ص 143.
(8) الحرب عند العرب ص 329.
(9) النظم الحربية عند السلاجقة ص 157.
(10) المصدر نفسه ص 157.
(11) النظم الحربية ص 157.

الأول: الغلمان الذين تدرجوا في المناصب حتى أصبحوا أمراء.

والثـاني: الأمـراء العـرب والـذين كـان لقـواتهم دور فاعـل مـن الانتصـارات التـي حققهـا جـيش السـلاجقة، فقـد كـان للأمـير العربـي مسـلم بـن قـريش أثـر فاعـل فـي القضـاء علـى حركـة قـاورد ضـد السلطان ملكشاه فعندما التقى الجيشان قام بالهجوم بقواته على ميسرة قاورد فهزمها [1]، كما كان اجتماع قوات العرب من بني كلاب إلى تتش بن ألب أرسلان عندما وصل إلى الشام سبباً مهماً من أسباب قوته [2] إلا أن توثق العلاقة بينهم وبين سلاطين السلاجقة لم يستمر طويلاً فقد قام السلطان مسعود بالقضاء على اثنى عشر أميراً كانوا قد وقعوا في أسره، منهم صدقة بن دبيس أمير العرب فأمر بقتلهم جميعاً [3]، مما يعطي إشارة إلى تحول سلاطين السلاجقة عن الاعتماد على هؤلاء الأمراء وقواتهم [4].

5- قوات المدن والمتطوعة والأوباش: لم يكن الجيش السلجوقي يتكون من القوة النظامية والقبائل التركمانية وفرق الولايات وأصحاب الإقطاع وقوات الأمراء فقط، بل يوجد عدا هذه الأقسام جحافل كثيرة من القوات التي تنضمُّ إلى الجيش من المدن القريبة من ميدان الحرب والتي تختلف أعدادها باختلاف هذه المناطق، فكانت تسمى بأسماء المدن والأقاليم التي جاءت منها فتذكر في بعض المصادر عبارة عساكر العراق وغيرها[5]، ويضم الجيش السلجوقي كذلك المتطوعة الذين يلتحقون بالجيش لفترة محددة، أو دائمة لتأدية فريضة الجهاد [6]، ويعرَّفهم الماوردي بأنهم الخارجون عن ديوان الجيش من أهل البادية وسكان المدن ممن انضمُّوا للجيش حين النفرة للحرب [7]، وهناك طوائف ذكرت في المصادر باسم أوباش رغم إضافتها للجيش لم يكن لهما تأثير يُذكر في نتيجة الحرب مثل القوى الرئيسية في الجيش السلجوقي [8]، وهذا لا يقلل من الجهود البارزة لهاتين الطائفتين في الجيش واستفادته منهما فقد كان لإخلاص المتطوعة واستماتتهم في القتال طلباً للشهادة دور فاعل في إثارة حماس الجند للقتال[9]، وعلى سبيل المثال، كيف استفاد الجيش السلجوقي في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان من جهود الأوباش في أعمال الردم للخندق حول مدينة ترمذ، فنجح الجيش بعد ذلك في فتح المدينة وقلعتها [10].

6- الطلائع: كانت الطلائع تسير متقدمة أثناء تحرك الجيش وتتبعها المقدمة على مسافة كافية،

(1) أخبار الدولة السلجوقية ص 158.
(2) ذيل تاريخ دمشق نقلاً عن النظم الحربية ص 158.
(3) أخبار الدولة السلجوقية ص 110.
(4) النظم الحربية عند السلاجقة ص 158.
(5) الكامل في التاريخ نقلاً عن النظم الحربية عند السلاجقة ص 159.
(6) الحرب عند العرب ص 330.
(7) الأحكام السلطانية ص 159.
(8) النظم الحربية عند السلاجقة ص 160.
(9) المصدر نفسه ص 160.
(10) المصدر نفسه ص 160، أخبار الدولة السلجوقية ص 60، 60.

وكان عمل الطلائع ينحصر باستطلاع الإقليم واحتلال النقاط المهمة فيه ولم يكن واجبها خوض المعركة بل اكتشاف مكان العدو وقوته، فإذا اصطدمت بقوة صغيرة من العدو فغالباً ما تكون قوات استطلاع مماثلة [1]، ويذكر البيهقي أن السلاجقة جعلوا في طلائع جيشهم المحاربين الممتازين [2]، إيماناً منهم بأهميتها ودورها الحيوي في تحقيق سلامة الجيش وتأمين سيره، يضاف إلى ذلك الدقة الكاملة في اختيار قيادة هذه الطلائع فقد كانوا يشترطون في قائدها أن يكون رجلاً مذكوراً ثقة ناصحاً عاقلاً مدبراً جسوراً شديد الحذر [3].

7- الجاويشة: مفردها جاويش، وهو لفظ تركي مهمته القيام بالنداء في الجيش [4]. وكان في الجيش فئة من الضباط برتبة جاويش كانوا يؤدون وظيفتهم ضباطاً للجند، كل حسب درجته في الجيش وكانوا بصفة عامة يعملون على تحقيق الانضباط في الجيش إلى جانب عملهم ضباطاً، وكانوا يتقدمون موطن السلطان يفسحوا له الطريق [5]، ومراقبة الطريق أثناء سير الجيش إضافة إلى المراسلة وإيصال البريد، فكان لرجال الدولة السلجوقية جاويشية أيضاً ذكرت خدماتهم في سرعة إيصال البريد، فأطلق عليهم لفظ بيكان أي الذي يمشي بسرعة وظلت وظيفة الجاويش حتى عند العثمانيين بمسمى جاويش الديوان السلطاني[6].

8- فرق المنزل: هناك تشكيلات يطلق عليها تشكيلات المنزل يكون عملها الاهتمام بإعداد المنازل التي سيمر بها الجيش على الطريق، فتقوم بإعداد ما يلزمه بها من مأكل ومشرب[7]، وكان لعمل هذه الفرق أثر واضح في اختيار المواقع المناسبة لنزول الجيش وكيفية إقامة الخيام وتوزيعها على شكل مجموعات متناسقة فيما بينها [8]. وبالإضافة إلى هذه الأقسام المحاربة يضم الجيش السلجوقي فئات أخرى غير محاربة مثل منسوبي الحرم السلطاني، والخزينة وحملة الأثقال وكتبة الجيش والعلماء، والندماء ومنسوبي المطبخ الخاص والمتعاملين في سَوْق الجيش وغيرهم ممن لا يشتركون في القتال [9].

رابعاً: عناصر الجيش:

تكوَّن الجيش السلجوقي من عناصر متعددة، كالترك والغز والأعاجم والكرد والديلم والعرب وغيرهم من الأجناس وأهم العناصر في الجيش السلجوقي:

1- الأتراك: اعتمد السلاجقة على بني جلدتهم من الأتراك ويتضح ذلك من النصوص الواردة

(1) فن الحرب (442/3) النظم الحربية عند السلاجقة ص 160.
(2) تاريخ البيهقي ص 625، 626، 633، 687.
(3) مختصر سياسة الحروب ص 48، النظم الحربية ص 160.
(4) النوادر لابن شداد ص 62.
(5) الدر المنتخب ص 258 لابن الشحنة النظم الحربية ص 162.
(6) النظم الحربية عند السلاجقة ص 162.
(7) المصدر نفسه ص 163.
(8) المصدر نفسه ص 163.
(9) المصدر نفسه ص 163.

في بعض المصادر عن تفضيل بعض سلاطين السلاجقة لبني جنسهم، يقول السلطان ألب أرسلان مخاطباً جنده الأتراك:... لقد قلت لكم مرة ومرتين ومائة مرة: أنتم الأتراك جيش خراسان وما وراء النهر، إنكم لغرباء في هذه الديار، لقد أعز الله عز وجل الترك اليوم وسلطهم على رقاب الديالمة؛ لأنهم مسلمون خلّص أطهار لا يعرفون البدع والأهواء [1]. وقد صدق السلطان ألب أرسلان في هذه العبارة حيث جعل اتباع السنة والتمسك بها والابتعاد والبعد عن الأهواء سبباً في إعزاز الله لهم ونصرتهم كما أن في قوله ذلك دلالة واضحة على تقديمه الأتراك وتفضيله لهم على بقية العناصر واعتبارهم العماد الأول لجيشه، بل كانوا العنصر الرئيسي للقوة النظامية في الجيش السلجوقي [2].

2- العرب: اشتهر العنصر العربي مُنذ القديم بصفاته الحربية الثابتة في المعارك ومهارته العالية في ركوب الخيل فيها، وإجادتهم استخدام الرماح الطويلة [3]، ويعد العرب أحد عناصر الجيش السلجوقي [4] وله أهميته في بعض المعارك الحاسمة [5].

3- الأكراد: كان الأكراد أحد العناصر التي تكون منها الجيش عند السلاجقة، فقد اجتمع إلى السلطان ألب أرسلان عشرة آلاف من العنصر الكردي في معركة ملاذكرد الشهيرة [6]، ويتميز الأكراد بالشجاعة في القتال رجّاله وفرسانا[7].

4- الفرس: هم أحد العناصر التي شكلت الجيش السلجوقي بوضوح وأهم ما يميزهم - عسكرياً - الشجاعة والصبر وإجادة الرمي بالنشاب [8].

5- الديلم [9]: هم أحد العناصر التي دخلت في تكوين الجيش السلجوقي وهم أهل فروسية وشجاعة ويجيدون الرمي بالمزاريق [10].

6- الأرمن: ورد ذكر الأرمن ضمن عناصر الجيش السلجوقي من خلال بعض الحوادث ومما يدل على ذلك أنه عندما عُهد إلى سعد الدولة كواهرائين بالقضاء على قاورد - عم السلطان ملكشاه - أسند المهمة إلى أحد الأرمن الذي قام بقتله خنقاً [11]، وكان عنصر الأرمن ثابتاً في جيوش السلاجقة في هجومهم على آسيا الصغرى أو مواجهة جيوش الصليبيين كفرق وجنود أيضاً [12]. هذه هي أهم

(1) النظم الحربية عند السلاجقة ص 165.
(2) المصدر نفسه ص 165.
(3) المصدر نفسه ص 165.
(4) المصدر نفسه ص 165.
(5) النظم الحربية عند السلاجقة ص 167، 168.
(6) تاريخ ابن أبي الهيجاء ص 118، 119.
(7) النظم الحربية عند السلاجقة ص 169.
(8) المصدر نفسه ص 169.
(9) الديلم هم أهل طبرستان والجبال.
(10) المزاريق: نوع من أنواع الرماح يُزرق بها: تبصرة أرباب الألباب ص 11.
(11) النجوم الزاهرة (94/5) النظم الحربية ص 171.
(12) النظم الحربية عند السلاجقة ص 171.

العناصر التي تكون منها الجيش السلجوقي [1].

خامساً: فرق الجيش:

1- الرجالة: كانت الفئة المحاربة في الجيش السلجوقي تتكون 0 بصفة عامة - من الرجَّالة (المشاة) والخيالة (الفرسان) وكانت الرجالة تتقدم على الفرسان في الجيش[2].

2- الفرسان: تمثل فرقة الفرسان القوة الضاربة الرئيسية للجيوش، وكانت الفئة المحاربة في الجيش السلجوقي ويمثلون الجزء الفعَّال من جيش السلاجقة لما توفر لديهم من سرعة ومرونة ساعدهم عليها خفة حركتهم وسرعة عَدْو خيلهم وخفة أسلحتهم التي يحملونها[3]، وتتمثل في الغالب في القوس وهو السلاح الرئيسي لهم ولكنهم كانوا يحملون أيضاً الترس والرمح والسيف والهرواة [4]، وكان استخدامهم للسهام على ظهور الخيل مميزاً، فكانوا يطلقونها ببراعة دون الحاجة إلى التوقف أو الترجل عن خيلهم، وكانت هذه الميزة لديهم حتى في أثناء تراجعهم عن أرض المعركة فكانوا يدورون فوق السرج ليطلقوا السهام على مطارديهم بفعالية واضحة [5]، وقد مكنت خفة الأسلحة الفرسان من حملها واستعمالها بسهولة على ظهور الخيل. [6]

3- النشابة والنفاطيون والمجنيقيون والدبابون: النشابون هم رماة النشاب [7]، حيث أجاد السلاجقة الرمي بالنشاب حتى أصبح ميزة من مميزات الجيش السلجوقي، ويذكر أحد شهود العيان أن النشابة كانوا في مقدمة الجيش السلجوقي وأن عددهم وصل إلى عشرة آلاف من الرجالة، وفي الكثافة العددية للنشاب في المعركة دلالة قاطعة على كثرة تعداد من يقوم بإطلاقها، وكان الفرسان أيضاً يستخدمون النشاب في قتالهم كذلك، ويؤكد كثير من المؤرخين وجود النشابه في الجيش السلجوقي وفعاليتهم في معاركهم [8].

والنفاطون هم رماة النفظ لإحراق حصون الأعداء [9]، وغيرها من العوائق التي تعيق تقدم الجيش [10]، فمثلاً عندما سار السلطان ألب أرسلان إلى ناحية شكّي [11]، من بلاد الإبخاز ووجد بها غياضاً وآجاماً يحتمي بها اللصوص، أمر السلطان النفاطين بإحراقها، إدراكاً منه لما تشكله هذه المنطقة من خطورة على الجيش السلجوقي.

---

(1) المصدر نفسه ص 171.
(2) مختصر سياسة الحروب ص 37، النظم الحربية ص 173.
(3) النظم الحربية ص 176.
(4) الحروب الصليبية سميل ص 77.
(5) النظم الحربية عند السلاجقة ص 177.
(6) النظم الحربية عند السلاجقة ص 177.
(7) أخبار الدولة السلجوقية ص 80.
(8) تاريخ البيهقي ص 628، أخبار الدولة السلجوقية ص 80.
(9) الحرب عند العرب ص 330.
(10) الحرب عند العرب ص 330.
(11) شكي: ناحية من بلاد الإبخاز.

وأما المنجنيقيون فهم رماة المنجنيق[1] التي تشبه المدفعية الميدانية الثقيلة في عصرنا الحاضر ويؤكد كثير من المؤرخين وجودهم في الجيش واعتماد السلاجقة عليهم، وأن المنجنيقات كانت أهم أسلحة جيشهم الثقيلة [2]، وكانت الفرقة التي تقوم عليها ترافق الجيش في كثير من الميادين [3]، وأما الدبابون فقد كانوا يدخلون داخل الدبابة وهي آلة حربية على هيئة هودج كبير، يتسع لمجموعة من المقاتلين يحتمون ويزحفون في داخلها حتى يقتربوا من السور للمدينة المحاصرة، ومن ثم يقومون بنقبه في نقاط الضعف فيه [4].

سادساً: التعليم والتدريب العسكري:

حرص زعماء السلاجقة على تدريب أبنائهم وتنشأتهم على إجادة الفنون العسكرية بأنواعها المختلفة، ووصف شاهد عيان حروب السلاجقة مع الغزنويين أن لدى السلاجقة الكثير من الرجال المدرّبين[5]، فقد كان القصر يمثل مدرسة للتدريب تتخرج منها العناصر العاملة في الجيش والتي تؤدي دوراً مهماً في حياة الدولة باعتبار مواقعهم الدائمة في الجيش وليس باعتبار وظائفهم المؤقتة في قصر الحاكم [6]. ومن مميزات الجيش التركي أن أفراده كانوا يهبون أنفسهم دائماً لواجبهم العسكري، وكانوا يتخذون من العسكرية مهنة دائمة فكان أفراد الجيش يمضون أوقاتهم في التدريب العسكري وإجراء المناورات؛ ولهذا السبب كانوا يفتخرون بمهارتهم العسكرية بين المحاربين - وانعكست حياة الجد على الألعاب التي يمارسونها في أوقات اللهو عندهم - أيضاً - فكانوا يقضونها في التدريب على بعض الأسلحة كاللعب بالسيف والترس والرماية وسباق الخيل إلى جانب الألعاب المختلفة الأخرى [7]، ويفهم من التدرج الذي ذكره الوزير السلجوقي نظام الملك في خدمة الغلمان وطول فترة إعدادهم إلى أن يبلغوا سن الخامسة والثلاثين أو الأربعين من العمر فيولون منصباً قيادياً متقدماً [8].

إن التدريب العسكري عند السلاجقة يعتمد على جانبين مهمين هما: الدقة في التدريب المتمثَّل في تتبع أحوال الغلام بدقة متناهية والثاني، إكسابه الخبرة العسكرية اللازمة والتي تتأتي من طول فترة ممارسته للأعمال العسكرية وتدريبه عليها حتى يصل إلى منصب قيادي متقدم مثل منصب الحجابة [9]، رغبة في تدريبهم تدريجياً وإكسابهم الخبرة اللازمة بالتدرج حتى يصبحوا مؤهلين للوظائف العسكرية الأعلى، كما يذكر أن مهام الوزير: أن يدرب الرجال الشجعان بالآت الحرب

(1) أخبار الدولة السلجوقية ص 44، النظم الحربية ص 179.
(2) النظم الحربية ص 179.
(3) المصدر نفسه ص 179.
(4) تاريخ السلاجقة ص 276.
(5) تاريخ البيهقي ص 674، 683.
(6) النظم الحربية عند السلاجقة ص 181.
(7) دولة السلاجقة ص 167عبد المنعم حسنين.
(8) سياست نامه ص 144، 145.
(9) تاريخ البيهقي ص 683، النظم الحربية ص 182.

[1].

سابعاً: حجم الجيش السلجوقي:

يذكر ابن الأزرق أن كثرة الجيش من الأمور الظاهرة المسببة للنصر [2]، وتبرز المصادر التاريخية عظم الجيش السلجوقي وكثرة جنده، ويصف البيهقي - وهو شاهد عيان الحروب السلجوقية الغزنوية - السلاجقة بقوله: ومعهم جيش كبير العدد [3]، وذكر الرواندي أنهم: كانوا جنوداً موفقين وأناساً كثيرين، تعدادهم كبير ومالهم وفير [4]، وعندما سار السلطان طغرل بك إلى العراق كان: معه جند اهتزت الأرض لوطأتهم، واضطربت الجبال من كثرتهم [5]، وذكر العطيمي أنه عندما دخل طغرل بك بغداد امتد جيشه من دار الخلافة إلى النهروان مسافة أربعة فراسخ [6]، وعندما وضع السلطان ألب أرسلان لجيشه جسراً على نهر جيحون، أقام العسكر يعبر عليه شهراً [7]، وفي مجال تحديد تعداد الجيش السلجوقي ذكر البيهقي أن عدد جيش السلاجقة عندما دخلوا سرخس كان عشرين ألف فارس[8]، وذكر ابن العمراني أن جيش طغرل بك عندما ذهب إلى بغداد كان خمسين ألف فارس[9]، وذكر الحسيني العدد نفسه لجيش ألب أرسلان سنة خمس وستين وأربعمائة[10]، وفي الوقت الذي ورد فيه أن جيش السلاجقة في عهد السلطان ألب أرسلان قُدّر بأربعمائة ألف من الجند [11]، ويذكر ابن كثير أن جند السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان: كانوا مائتين ألوف [12]، ويذكر الوزير السلجوقي نظام الملك أن الجيش كان أربعمائة ألف رجل واقترح زيادة عدده ليصل إلى سبعمائة ألف [13].

ثامناً: العيون والجواسيس:

استخدم السلاجقة نظام العيون والجواسيس وحرصوا على توفر صفات وشروط معينة فيمن يتولاه وأن تكون مهمته شاملة وذلك لتأمين وصول أخبار أعدائهم إليهم لاتخاذ التدابير اللازمة حيالها، فهو من أهم نظمهم في مواجهة الأعداء منُذ بداية ظهورهم، ويذكر بعض المؤرخين أن بث

(1) التبر المسبوك ص 279، النظم الحربية عند السلاجقة ص 182.
(2) النظم الحربية عند السلاجقة ص 183.
(3) تاريخ البيهقي ص 66، النظم الحربية ص 183.
(4) راحة الصدور ص 145.
(5) راحة الصدور ص 175.
(6) وفيات الأعيان (69/5، 70).
(7) وفيات الأعيان (69/5، 70).
(8) تاريخ البيهقي ص 624 النظم الحربية ص 185.
(9) الأنباء في تاريخ الخلفاء ص 189.
(10) أخبار الدولة السلجوقية ص 53.
(11) خطط الشام (236/1، 147).
(12) البداية والنهاية نقلاً عن النظم الحربية عند السلاجقة ص 186.
(13) سياست نامه ص 209، النظم الحربية ص 186.

العيون في جيش الأعداء من واجبات السلطان للتعرف على أخبارهم [1]، وكان الوزير السلجوقي نظام الملك يرى أنه يجب بعث العيون في كل الأطراف دائماً في زي تجار وسياح ومتصوفة وبائعي أدوية ودراويش لنقل كل ما يسمعون من أخبار حتى لا يظل ثمة شيء خافياً وحتى يمكن تلافي أي طارئ جديد في حينه. فما أكثر ما كان الولاة والمستقطعون والعمال والأمراء يضمرون للملك خلافاً وعصياناً ويتربصون به الدوائر سرًّا لكن الجواسيس كانوا يكتشفون ذلك ويخبرون الملك به فيركب من وقته، وينقض عليهم بغتة فيحيق بهم ويحبط مآربهم ويفشل مقاصدهم... ولهذا كانوا ينقلون إليه أخبار الرعية خيرها وشرها أولاً بأول، فيتعهدهم السلاطين بدورهم [2]. يقول الوزير نظام الملك أيضاً ينبغي وضع السعاة على الطرق المعروفة دائماً وتخصيص أجور شهرية ومكافآت لهم، فبهذا يهتمون بنقل ما يقع من أحداث، وأخبار ليل نهار من على بُعد خمسين فرسخاً وكما جرت به العادة من قبل يجب تعيين نقباء لمراقبتهم والإشراف عليهم حتى لا يتوانوا في أداء واجباتهم [3]، ولا يكاد يختلف نظامهم في هذا المجال عن نظم الاستخبارات في الجيوش الحديثة [4].

تاسعاً: الإسناد العسكري:

استخدم السلاجقة كل الوسائل المتاحة في عصرهم لتقديم المساندة التي يحتاجها الجيش في معاركه، حيث تمثل الإسناد العسكري عندهم في جوانب متعددة هي:

1- الإمدادات العسكرية بالجند: حرص سلاطين السلاجقة على إمداد جيشهم بقوات إضافية بالسرعة المطلوبة، حين الحاجة إليها، ففي صراع السلطان طغرل بك مع أخيه إبراهيم ينال طلب المساعدة من أبناء أخيه داود فقام ألب أرسلان بن داود بنجدته مسرعاً، حيث قطع المسافة من سجستان إلى حدود العراق في عشرة أيام فقط سالكاً طريق الصحراء، طلباً لاختصار الوقت وطول الطريق كما أنجدته أيضاً زوجته سارت مع جيش من الأتراك من بغداد متجهة إلى همذان [5]، كما اهتموا بتأمين احتياجات جندهم للأسلحة والعتاد حتى في وسط المعارك، ففي الصراع بين السلطان بركيارق بن ملكشاه وأخيه محمد احتاج الرجالة في جيش بركيارق إلى تراس أمر السلطان بركيارق بتوزيعها مباشرة على الجند[6].

2- المهندسون: ويطلق عليهم الفعلة ومهمتهم تمهيد الطرق، وإزالة العوائق أمام الجيش، وتنظيم عبور الجيش للمضائق حيث يحملون معهم العتاد اللازم لمساعدتهم في عملهم [7] هذا. فقد استصحب السلطان طغرل بك - عند مسيره في بغداد إلى الموصل - النجارين، كما عمل المهندسون العرادات

(1) تبصرة أرباب الألباب ص 24 النظم الحربية ص 188.
(2) سياست نامه ص 111.
(3) سياسة نامة ص 123 النظم الحربية ص 189.
(4) النظم الحربية عند السلاجقة ص 189.
(5) الكامل في التاريخ نقلاً عن النظم الحربية للسلاجقة ص 191.
(6) المصدر نفسه ص 191.
(7) فن الحرب (443/3) النظم الحربية عند السلاجقة ص 191.

والمجانيق [1]، حيث يمثِّل صانعوا الأسلحة بأنواعها المختلفة وبناة الجسور جزءاً من وحدات الجيش السلجوقي عند سيره[2]، ويدل استخدام السلاجقة للجسور لعبور الأنهار [3]، على وجود المهندسين المهرة في الجيش السلجوقي الذين يقومون ببناء مثل هذه الجسور التي يستطيع الجيش العبور عليها، وكان الجيش السلجوقي قد عمل سفناً عندما وصل إلى مدينة نقجوان [4]، لحصارها في عهد السلطان ألب أرسلان كما أعد نظام الملك في حصار مدينة مريم نشين [5]، ما يحتاج إليه الجيش ومنها السفن حتى فتحها [6].

3- حمل الأثقال: أعطى السلاجقة اهتماماً خاصاً بالأثقال في جيشهم ممثلة في أنواع الأسلحة والأعلاف وغيرها [7]، فقد اعتمدوا على الجمال لحمل هذه الأثقال منُذ هجرة جدهم الأول سلجوق[8]، واستمروا في اعتمادهم عليها لهذا الغرض بعد قيام دولتهم، وبالإضافة إلى الجمال فقد اعتمد السلاجقة في حمل أثقال الجيش على البغال [9].

4- التموين: كان اهتمام السلاجقة بتوفير التموين لجيشهم كبيراً منُذ بداية عهدهم ويذكر البيهقي أن إمدادات الجيش السلجوقي دائماً معه [10]، وعند ما دخل السلاجقة نيسابور في عهد طغرل بك كان هناك تموين كاف للجيش كله، ويروي الوزير نظام الملك أن السلطان طغرل بك كان حريصاً على المؤن وتوفيرها في كل الظروف حتى كان إذا أراد السفر أمر بحمل الكثير منها على سبيل الاحتياط فكانت كثرتها تعجب الأمراء والأتراك أثناء تناولهم الطعام [11]، ويبدو أن اهتمامه هذا قد انعكس على الجيش السلجوقي وعدم تعرضه لنقص المؤن في عهده واستمر هذا الاهتمام في عهد ألب أرسلان وملكشاه، ويشير ابن خلكان أن دخول الجيش السلجوقي في عهده إلى بلد من البلدان كان مقروناً برخص الأسعار لما يدخل معه من مؤن كثيرة تزيد عن حاجته فترخص أسعارها، كما يحصل التجار من وجوده على مكاسب كبيرة [12]. وهي نتيجة طبيعية لكثرة تعداد الجيش وضخامته، وكانت مدينة حلب قد اتخذت - من قبل بعض السلاطين السلاجقة - مركزاً تموينياً استراتيجياً يحصلون منه على احتياجاتهم أثناء حروبهم ضد البيزنطيين [13].

(1) المنتظم (173/8) النظم الحربية عند السلاجقة ص 191.
(2) النظم الحربية عند السلاجقة عند السلاجقة ص 191.
(3) وفيات الأعيان (69/5، 70) فن الحرب (346/3).
(4) نقجوان: مدينة في إقليم أذربيجان.
(5) مريم نشين: مدينة حصينة سورها من الحجر المشدود بالرصاص.
(6) فن الحرب (345/3) النظم الحربية عند السلاجقة ص 192.
(7) النظم الحربية عند السلاجقة ص 192.
(8) المصدر نفسه ص 192.
(9) المصدر نفسه ص 193.
(10) تاريخ البيهقي ص 666، النظم الحربية عند السلاجقة ص 194.
(11) سياست نامه ص 169، النظم الحربية عند السلاجقة 194.
(12) وفيات الأعيان (286/5) النظم الحربية عند السلاجقة 194.
(13) إمارة حلب ص 129.

عاشراً: الإسناد الطبي:

ترجع بعض المراجع استخدام السلاجقة للمستشفى إلى وقت مبكر من تاريخهم [1]، وكان يعرف في وقتهم البيمارستانات [2]، فكان اهتمام وزير السلطان طغرل بك عميد الملك كبيراً بتنظيم بيمارستانات بغداد سنة 449هـ [3]، وكان للسلطان محمد بن ملكشاه دور كبير في دعم البيمارستانات في بغداد بالأموال؛ إذ أمر بصرف مائة ألف دينار في مصالحها سنة إحدى وخمسمائة [4]، وتدل بعض المصادر التاريخية على أن السلاجقة لم يكتفوا بذلك بل تجاوزوه إلى استخدام المستشفى المتنقل في حلهم وترحالهم، فكان البيمارستان [5] المحمول [6]، في جيش السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي كبيراً جداً، بحيث كان يحتاج حمله إلى أربعين جملاً، وكان هذا البيمارستان ملازماً للجيش السلجوقي دائماً [7]، حرصاً منهم على توفير الإسناد الطبي الدائم للجيش، وقد كان أبو الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلي الحكيم الأديب المعروف بالمغربي طبيب هذا المستشفى، كما كان أبو الفداء يحيى بن سعيد بن يحيى المظفر المعروف بابن المرخّم - الذي صار أقضى القضاة ببغداد في أيام المقتفي - فاضلاً وطبيباً فيه أيضاً [8].

وفي معركة قطوان سنة 536هـ ما يدل على وجود الأطباء ومصاحبتهم للجيش السلجوقي في عهد السلطان سنجر، فكان من نتائج هذه المعركة وفاة الطبيب شرف الدين محمد إيلاقي [9]، وهو ما يؤكد اشتراكه في المعركة وعمله طبيباً في الجيش، ويدل المرض الذي أصاب السلطان مسعود بن محمد سنة 546هـ وأدى إلى وفاته على أن الأطباء كانوا في البلاط السلطاني بشكل دائم حيث أشرفوا على تطبيب السلطان إضافة إلى ما تم استدعاؤه من أطباء العراق حيث اشتركوا جميعاً في معالجته التي لم يكتب لها النجاح لاستشراء المرض الذي أدى إلى وفاته [10]، وهو شاهد من الشواهد على تواجد الأطباء بالقرب من السلطان دائماً [11].

الحادي عشر: الخيل ودورها في الجيش السلجوقي:

كان الأتراك في مقدمة الشعوب قدرة على ترويض الخيل وركوبها وكانت بعض قبائلهم أقدر على ذلك من غيرها، وكان من واجبات قائد الجيش تفقد الخيل ومدى سلامتها في جيشه، كتفقده

(1) تاريخ إيران ص 126.
(2) وفيات الأعيان (124/3) العرب والأتراك ص 97.
(3) تاريخ البمارستانات ص 189.
(4) الخدمات العامة في بغداد، ص 300.
(5) النظم الحربية عند السلاجقة ص 196.
(6) النظم الحربية عند السلاجقة ص 196.
(7) وفيات الأعيان (124/3) تاريخ اليمارستانات ص 14.
(8) وفيات الأعيان (123/3، 124).
(9) السلاجقة في التاريخ والحضارة ص 398.
(10) راحة الصدور ص 354.
(11) النظم الحربية عند السلاجقة ص 197.

للجند وأن يمنع ما يصلح منها للحرب [1]، وأما عن طرق توفير إعداد الخيل فتأتي غنائم الحروب في مقدمة تلك الطرق ثم تربيتها عندهم وبعد ذلك عن طريق الشراء في الأسواق المختلفة في المدن وتأتي كذلك عن طريق الهدايا التي تقدم لهم فقد كانت الخيل في مقدمة ما يهدي لهم [2] وقد تميزت الخيل عند السلاجقة لصغر حجمها وتوسط طول قامتها، حيث استخدموا النوع المعروف بالحصان التركماني[3]، الذي اشتهر بسرعة العدو ورشاقة الجسم [4]، نتيجة للتدريب الجيد لها، كما كان لها لباس خاص لحمايتها ووقايتها [5]. فعُملت لها التجفاف [6] أو الجل أو البركستونات [7]، وهي الدروع الواقية التي كانت تتخذ من الحديد والفولاذ المبطن باللبود [8]، حماية لها من أسلحة الأعداء في أرض المعركة[9]، ويحرص السلاجقة على تعويد خيلهم على الجرأة وانتزاع الخوف منها تحسباً لأي طارئ في المعارك فكانوا يدرّبون خيلهم على معايشة الحيوانات الأخرى الأكبر حجماً منها كالجمل والفيل والدب، فإذا رأوا بعض خيلهم تخاف من أي من هذه الأنواع قاموا بتكثيف فترات وجودها مع هذا النوع حتى تتعّود عليه، كما قاموا بتدريبها على الرياضات المعروفة عندهم [10].

الثاني عشر: الموارد المالية للجيش السلجوقي:

اعتمد السلاجقة في مواردهم المالية على تعددها، فكانت الغنائم والجزية والخراج والمكس، وضمان المدن من أهم الإيرادات التي ساعدت سلاطين السلاجقة على الإنفاق في دولتهم وخاصة في مجال استكمال النفقات الأساسية ليتمكن الجيش من أداء واجباته في المحافظة على كيان الدولة [11] وقد استفاد السلاجقة من قتال الغزنويين في حصولهم على غنائم وصلت قيمتها إلى خمسمائة ألف دينار[12]، بينما ارتفعت بعد ذلك لتصل في معركة نسا إلى نحو عشرة (ملايين، دينار من الألبسة والأسلحة والدواب والأمتعة [13]، كما غنموا مالا لا حصر له من الذهب والفضة والملابس والدواب في معركة داندانقات [14]، وكانت الغنائم التي حصلوا عليها بعد معركة ملازكرد توزن بالأرطال من الذهب والفضة لكثرتها[15]، ويذكر البنداري نزول الأسعار بشكل كبير بسبب هذه الغنائم السلجوقية وقد صاحب

(1) المصدر نفسه ص 201.
(2) المصدر نفسه ص 202.
(3) النظم الحربية عند السلاجقة ص 203.
(4) عالم الصليبين، يوشع براور ص 214.
(5) النظم الحربية عند السلاجقة ص203.
(6) التجفاف: وهو ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح.
(7) البركستونات: حافظ لحم الصدر.
(8) نظم دولة سلاطين المماليك (77/1).
(9) النظم الحربية عند السلاجقة ص 203.
(10) المصدر نفسه ص 203.
(11) المصدر نفسه ص 215.
(12) العرضة لابن النظام ص 33، النظم الحربية ص 215.
(13) راحة الصدور ص 156، النظم الحربية ص 215.
(14) تاريخ البيهقي ص 695، النظم الحربية ص 215.
(15) تاريخ دولة آل سلجوق ص 215.

انتصارات الجيش السلجوقي في معاركه المختلفة بعد ذلك حصوله على الكثير من الغنائم [1]، أما عن الجزية باعتبارها مورداً من الموارد المالية للسلاجقة، فقد ذكر بعض المؤرخين أن الروم كانوا قد اعتادوا دفع الجزية للسلاجقة سنوياً قبل هذه المعركة[2]، كما تؤكد المصادر استمرارهم بدفعها بعد ذلك فقد وصل رسول إمبراطور الروم ومعه الجزية سنة 482هـ، ومما يدل على استمراره في دفعها أن السلطان ملكشاه كان: يأخذ خراج ملك القسطنطينية كل سنة [3]، وكان مقدارها ثلاثمائة ألف دينار سنوياً [4]، وكان السلطان ألب أرسلان قد قنع من الرعايا بالخراج الأصلي يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقاً بهم [5].

الثالث عشر: شعار السلاجقة وأعلامهم:

تشير بعض المصادر أنه كان للسلاجقة نظمهم في اتخاذ الأعلام والسفارات فقد اتخذوا منذُ بدايتهم شعار القوس والسهم في رسائلهم دلالة على دولتهم، كما اتخذ السلاجقة السواد لوناً لأعلامهم في المعارك، وهو شعار الدولة العباسية [6].

* * *

(1) النظم الحربية عند السلاجقة ص 215.
(2) تاريخ الزمان ص 109 ابن العبري النظم الحربية عند السلاجقة 216.
(3) الباهر لابن الأثير ص 11.
(4) تاريخ دولة آل سلجوق ص 71.
(5) الكامل في التاريخ نقلا عن النظم الحربية عند السلاجقة ص 216.
(6) النظم الحربية عند السلاجقة ص 217، 218.